**الجـمـهـوريــة الجـزائريـة الديـمقراطيــة الشـعبـيــة**

**PEOPLE’S DEMOCRATIC REPUBLIC OF ALGERIA**

**وزارة التعليـم العالـي والبحـث العلمـي**

**MINISTRY OF HIGHER EDUCATION AND SCIENTIFIC RESEARCH**

**جامعة أبو بكر بلقايد -تلمسان-**

**AbouBekrBelkaidTlemcenUniversity**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
|  |  |  **كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية.****قسم العلوم الإسلامية.****السّنة :الثّانية .****تخصص :لغة و حضارة إسلامية. مقياس :البلاغة .****الأستاذة : ابن عزوز .ن.**  |

**\_محاضـــــــــــــــرة الأولـــــــــــــى \_**

**أضرب الخبر :**

**تعريف الجملة الخبرية:** الخبر جملة مفيدة تحتمل الصدق و الكذب ، "كقولك :المطر نازل" فقد تكون صادقا في إخبارك ، وقد تكون كاذبا.وتأتي الجملة الخبرية إمّا فعلية وإمّا اسمية[[1]](#footnote-2).

**ر كنا الجملة**:كل جملة من جمل الخبر لها ركنان: محكوم علیه، وهو المسند إلیه،ومحكوم به، وهو المسند، وما زاد على ذلك في الجملة غیر المضاف إلیه وصلة الموصول فهو قید. فإذا قلنا: "سافر الصدیق" و "الناجح مسرور" فإن الذي حكم علیه بالسفر أو أسند إلیه السفر في الجملة الأولى هو "الصدیق"، والذي حكم به للصدیق أو اسند له هو "السفر".وعلى هذا یكون "الصدیق" هو المحكوم علیه أو المسند إلیه، ویكون "سافر" هو المحكوم به أو المسند. وركنا الجملة الثانیة هما "الناجح" و"مسرور" ، والذي حكم علیه بالسرور أو اسند إلیه السرور هنا هو "الناجح"، والذي حكم به للناجح أو اسند له هو "السرور". وعلى هذا یكون "الناجح " هو المحكوم علیه أو المسند إلیه، ویكون "مسرور" هو المحكوم به أو المسند. والمسند إلیه عادة هو الفاعل، أو نائب الفاعل، أو المبتدأ الذي له خبر، أو ما أصله المبتدأ كاسم كان وأخواتها .[[2]](#footnote-3)

والخبر سواء أكان الغرض منه «فائدة الخبر» أو «لازم الفائدة» لا يأتي على ضرب واحد من القول. وإنما ينبغي على صاحب الخبر أن يأخذ في اعتباره حالة المخاطب عند إلقاء الخبر ، وذلك بأن ينقله إليه في صورة من الكلام تلائم هذه الحالة بغير زيادة أو نقصان.

والمخاطب بالنسبة لحكم الخبر ، أي مضمونه ، له ثلاث حالات: (ابتدائي ، طلبي ، إنكاري).

أضرب الجملة الخبرية:

١ ـ أن يكون المخاطب خالي الذهن من الحكم ، وفي هذه الحال يلقى إليه الخبر خاليا من أدوات التوكيد ويسمى هذا الضرب من الخبر «ابتدائيا»نحو قوله تعالى :"**عَبَسَ وتَوَلَى**" (1)سورة عبس.

أو مثل ما جاء في قول الشّاعر:

ركزوا رفاتَك في الرمالِ لواءَ يستنهض الوادي صباحَ مساءَ[[3]](#footnote-4)

٢ ـ أن يكون المخاطب مترددا في الحكم شاكا فيه ، فيحتاج إلى مؤكد واحد حتى يتثّبت السامع مما يسمع، لأنّه قد يكون مترددا بين مصدق للخبر ومكذبٍ له ، وهو يريد أن يتأكد ليزيل عنه الإنكار والشك، وسمّي هذا الضرب طلبيا لإزالة ما في نفسه ، فيُكتفى بمؤكد واحد كقوله تعالى:"إنــــّـــــــــــــ**ي وضَعْتُهَا أُنْثَى**" (آل عمران 36)، الآية الكريمة تضمنت مؤكدا واحدا " إنّ" [[4]](#footnote-5).

٣ ـ أن يكون المخاطب منكرا لحكم الخبر ، وفي هذا الحال يجب أن يؤكد له الخبر بمؤكد أو أكثر ، على حسب درجة إنكاره من جهة القوة والضعف. ويسمى هذا الضرب من الخبر «إنكاريا».نحو قوله تعالى:" **فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ** " (الذاريات 23).

فذكر الله تعالى ثلاثة مؤكدات للإنكار وهي: القسم"ورب السماء" وإنّ" التو كيدية واللام المزحلقة،فقد كان المشركون ينكرون أن يكون رزقهم يأتي من السّماء فاحتاج الإنكار إلى إثبات وتوكيد[[5]](#footnote-6) .

**مؤكدات الخبر :**

أدوات التوكيد، وهي:

1-  (إنَّ، وأنَّ): سواء كانتا مخففتين أو مثقلتي،. ومن أمثلتها من القرآن الكريم قوله تعالى مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَــــــــــيَفْتِنُونَكَ ﴾ [الإسراء: 73] مؤكد بمؤكدين، هما: (إن، واللام ): (**أنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**)[سورة المائدة 98] و (**إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كانُوا إِخْوانَ الشَّياطِينِ ،**) [سورة الإسراء27]و (**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ، ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ، ثُمَّ ازْدادُوا كُفْراً لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ**) [ سورة النساء 137].

ومن أحاديث الرسول عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «إن المنبتَّ لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى» ( رواه البيهقي في السنن الكبرى)

ومن الشعر :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| إنّ التي زعمت فؤادك ملّها |  | خلقت هواك كما خلقت هوى لها |

2- لام الابتداء وفائدتها توكيد مضمون الحكم ، وتدخل على المبتدأ ، نحو : لأنت خير من عرفت ، كما تدخل على خبر «إن» نحو قوله تعالى : (**إِنَّ رَبِّي لَــــــــــــسَمِيعُ الدُّعاءِ)[ 39 سورة إبراهيم]** وعلى المضارع الواقع خبرا لإنّ نحو قوله تعالى : (**وَإِنَّ رَبَّكَ لَــــــــــــــــيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ**) [ 124 سورة النحل]وعلى شبه الجملة نحو : (**وَإِنَّكَ لَـــــــــــــــعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ**) [ 04 سورة القلم].

3-أحرف التنبيه: مثل: ومنها «ألا وأما» بفتح الهمزة والتخفيف. و «ألا» قد تزاد للتنبيه ، وعندئذ تدل على تحقق ما بعدها ، ومن هنا تأتي دلالتها على معنى التأكيد ، وذلك نحو قوله تعالى : (**أَلا إِنَّ أَوْلِياءَ اللهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ**) [62 سورة يونس].

و «أما» حرف استفتاح وهي بمنزلة «ألا» في دلالتها على تحقق ما بعدها تأكيدا ، ويكثر مجيئها قبل القسم ، لتنبيه المخاطب على استماع القسم وتحقيق المقسم عليه ، نحو قول الشاعر:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أما والّذي أبكى وأضحك والّذي  |  | أمات و أحيا والّذي أمره الأمر |
| لقد تركتني أحسد الوحش أن أرى  |  | أليفين منها لا يروعهما النفر [[6]](#footnote-7) |

4- القسم: وأحرفه «الباء ، والواو ، والتاء» ، و «الباء» هي الأصل في أحرف القسم لدخولها على كل مقسم به ، سواء أكان اسما ظاهرا أو ضميرا ، نحو : أقسم بالله ، وأقسم بك.

و «الواو» تختص بالدخول على الاسم الظاهر دون الضمير ، نحو : «أقسم والله» ، أما «التاء» فتختص بالدخول على اسم الله تعالى فقط ، كقوله تعالى : (**وَتَاللهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنامَكُمْ**).

نحو قوله تعالى :" **والسّمَاءِ ذاتِ البرُوجِ، واليَومِ الموْعُودِ**" [ البروج 1 و2] فالله تعالى يقسم بالسماء في الآية الأولى وبيوم القيامة في الآية الثّانية والواو حرف قسم وجر[[7]](#footnote-8).

5- نونا التوكيد: يعني المخففة والمثقلة؛ قال الله تعالى: ﴿ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴾ [يوسف: 32 ].

فقوله: ﴿ لَيُسْجَنَنَّ ﴾ النون مثقلة.

وقوله: ﴿ وَلَيَكُونًا ﴾ النون مخففة.

6-  الحروف الزائدة: ليعلم أن الحروف الزائدة لا يصح أن نقول: إنها زائدة، بمعنى أنها لغو، ولا فائدة منها، بل نقول: هي زائدة من حيث التركيب، ولكنها من حيث المعنى مفيدة للتوكيد.

فيصح أن نقول: هي زائدة زائدة، وتكون "زائدة" الأولى لازمة، و"زائدة" الثانية متعدية؛ لأن "زاد ونقص" يستعملان لازمين ومتعديين.

فتقول: نقص المال، وهذه لازمة،وهي «إن» المكسورة الهمزة الساكنة النون ، و «أن» المفتوحة الهمزة الساكنة النون ، و «ما» ، و «لا» ، و«من» و «الباء» ، الجارتان. وليس معنى زيادة هذه الحروف أنها قد تدخل لغير معنى البتة ، بل زيادتها لضرب من التأكيد.

فمثال «إن» : «ما إن قبلت ضيما» والأصل «ما قبلت ضيما» فدخول «إن» قد أكد معنى حرف النفي الّذي قبله[[8]](#footnote-9).

إذن: نقول: الحروف الزائدة زائدة، بمعنى أنها زائدة في التركيب، وزائدة في المعنى، يعني: تزيد في المعنى، فتكون زائدة الأولى من باب اللازم، والثانية من باب المتعدي.

7-  والتكرار: مثل أن تقول: قُمْ، قم، أو تقول: جاء زيد، جاء زيد، وهذا يسمى توكيدًا لفظيًّا.[[9]](#footnote-10)

قال ابن مالك رحمه الله:

وما من التوكيد لفظيٌّ يَجِي ♦♦♦ مكررًا، كقولك: ادرُجي ادرُجي.

ومنه على قول بعض العلماء: ﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ [ق: 24]؛ فإن بعض المفسرين يقول: معنى ﴿ أَلْقِيَا ﴾ ألقِ ألقِ؛ لأن المخاطب واحد، والتثنية للفاعل تثنية للفعل، هكذا قيل.

وقيل: إن ﴿ أَلْقِيَا ﴾ الخطاب للملَكين جميعًا.

8-  وقد: فإنك إذا قلت: قدم زيد، فهذا غير مؤكد، وإذا قلت: قد قدم، فهذا مؤكد.

9- وأمّا الشرطية: المفتوحة الهمزة المشددة الميم : وهي حرف شرط وتفصيل وتوكيد مثل قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ \* وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ [الضحى: 9، 10]؛ فـ ﴿ فَأَمَّا ﴾ في الآية شرطية تفيد التوكيد.[[10]](#footnote-11)

\_10 السين : وهي حرف يختص بالمضارع ويخلصه للاستقبال ، والسين إذا دخلت على فعل محبوب أو مكروه أفادت أنه واقع لا محالة ، ووجه ذلك أنها تفيد الوعد أو الوعيد بحصول الفعل ، فدخولها على ما يفيد الوعد أو الوعيد مقتض لتوكيده وتثبيت معناه فهي في مثل قوله تعالى : (**أُولئِكَ سَــــــيَرْحَمُهُمُ اللهُ**)[71 سورة التوبة]  تؤكد حصول فعل الوعد.[[11]](#footnote-12)

\_11 ضمير الفصل : وهو عادة ضمير رفع منفصل ، ويؤتى به للفصل بين الخبر والمبتدأ ، نحو «محمد هو النبي» فلو لم نأت بالضمير «هو» وقلنا «محمد النبي» لاحتمل أن يكون «النبي» خبرا عن محمد ، وأن يكون صفة له ، فلما أتينا بضمير الفصل «هو» تعين أن يكون «النبي» خبرا عن المبتدأ وليس صفة له. فضمير الفصل على هذا الأساس يزيل الاحتمال والإبهام من الجملة التي يدخل عليها ، وبالتالي يفيد ضربا من التأكيد. ولهذا عدّ من أدوات توكيد الخبر[[12]](#footnote-13).

 **المحاضرة الثّانية**:

####  **إنزال الخبر منزلة الإنشاء:**

يُقْصد بهذا الأسلوب أن صياغة الجملة صياغة خبرية ولكن دلالتها دلالة إنشائية، وتؤدي وظيفة ما من وظائف الأساليب الإنشائية التي ستمر بنا، ولها أغراض عدة منها:

##### 1 ـ التفاؤل:

التفاؤل ضد التشاؤم والتطيّر، تفاءلت به: رجوت فيه الخَيْر وأَمَّلته عنده... لهذا حين يتخيل المتكلم أن الخبر حاصل عنده، أو عند المخاطب، أو حين يتعلق به تعلقاً شديداً حتى يظن حدوثه فإنه يستعمل لـه الأسلوب الخبري، ويختار لـه الفعل الماضي المثبت... كأن نقول للضَّال عن أمر الله: (هداك الله لصالح الأعمال)... فالمراد: كأن الهداية قد حصلت حقاً؛ ولذلك استعمل لفظ الفعل الماضي على التقرير والتحقيق... بدلاً من أسلوب الإنشاء في الدعاء وغيره...

##### 2 ـ الدعاء:

الدعاء ـ في اللغة ـ النداء، والفعل: دعا يدعو... وهو أحد أساليب الإنشاء؛ بيد أنه قد ينزل الخَبر منزلة الإنشاء في الدلالة ـ وإن اتخذ صورة الخبر في اللغة ـ لهدف الدعاء لـه أو التعجيل به... ونستعمل ـ غالباً ـ في هذا الأسلوب صيغة الفعل الماضي، فنحن حين نذكر الرسول الكريم نقول: (صلِّ وسلِّمْ...). وحين نذكر الخلفاء الراشدين نقول: (رضي الله عنهم، ورحمهم) أي: (ارضَ عنهم وارحمهم). ونقول: (كرَّم الله وجهه)؛ أي: (نزّههُ، وأَعلِ مقامه).

ولأجل التأدب مع الله واليقين بتحقيق الدلالة وكأنها واقعة يستعمل المتكلم في ذلك كله الأسلوبَ الخبري الذي يفيد الدعاء. ونجد صيغة الأسلوب الخبري الواقعة موقع الإنشاء في القرآن الكريم تتكرر كثيراً كقوله تعالى: **لا تَثْريبَ عليكم اليوم يغفر الله لكم** [يوسف 92]. فاليوم الّذي هو مظنة التقريع لا تثريب فيه ولا ذهاب بماء الوجه، ثم جاء بجملة دعائية تدعو لهم بالمغفرة[[13]](#footnote-14).

##### 3 ـ الاحتراز من صورة الأمر تأدباً واحتراماً للمخاطب:

الاحتراز مصدر، وفعله احترز، واحترز من الشيء وتحرَّز منه: جعل نفسه في موضع حصين. وهذا أسلوب بلاغي ليس لـه صورة لغوية معينة، وإنما يفهم من السياق والمقام معاً... وبغيرهما قد يضل المتلقي له... فحين ينظر الأمير في ساعته، نقول له: (يَنْظر مولاي في أمري)؛ فكأننا احترزنا من الخطاب بصيغة الأمر فقلنا ذلك بدل أن نقول له: (انظر في أمري بدل أن تنظر في ساعتك)... ومثله قول العبد لسيده: يقضي سيدي حاجتي...

وهذه الصورة من التأدب ليست مقتصرة على مخاطبة الأدنى للأعلى، فقد يقول الزميل لزميله إذا لم يرد تلبية رغبته التي حضر لها: (تأتيني غداً)؛ فهو يحمله بألطف عبارة على عدم قضاء حاجته دون أن يسوّف أو يخيّب رجاءه أو يأمره بالإتيان... فالتركيب اللغوي الجمالي في هذا الأسلوب يلائم الحالة النفسية للمتلقي.

وقد يكون المتكلم في منزلة أعلى من المخاطب ويقول لـه في شأن ما: يمكن عرض ما ترغب فيه؛ كأن المراد: اعرض رغبتك...

فاللغة في هذا الغرض تضطلع بوظيفة جمالية وفكرية ونفسية؛ وتتألق بجاذبية خاصة تتشكل في صورة العلاقة بين الصورة والدلالة والمقام... فالجمال البلاغي اللغوي حريص على ألا يحدث فجوة حادة بين المتكلم والمخاطب، بل يريد أن يخلق دفئاً كبيراً من الاتصال العاطفي... وربما يكمن هذا المعنى في الموضع الرابع بما يحمله من مفهوم توليد المعنى الحاصل من اجتماع عدة عناصر في سياق النسق البلاغي[[14]](#footnote-15).

##### 4 ـ التنبيه على تيسير المطلوب لقوة الأسباب؛ والأمر به والحث عليه:

يندمج في هذا الغرض مختلف الرؤى الفكرية والنفسية لتؤكد حدوث الشيء؛ وما انتهى إليه بعد أخذ الأسباب كاملة... ويكثر استعمال هذا الأسلوب عند الكبراء والسادة والممتازين؛ كقول الأمير لجنده: (تأخذون بنواصيهم، وتنزلونهم من صياصيهم...) أي (خُذوهم بنواصيهم؛ وأنزلوهم من صياصيهم).

وهذا الأسلوب مبثوث في القرآن الكريم بكثرة؛ كقوله تعالى: ولكم في القصاص حياة يا أُولي الألباب [البقرة 179].

والمراد من ذلك (اقتصوا من المجرمين ليكون ذلك ردعاً لغيرهم، وليحيا المجتمع حياة مطمئنة...) وعليه قولنا: (الاجتهاد خير لكم)؛ فالمراد (اجتهدوا هو أنفع لكم من التمادي في الكسل والعبث).

##### 5 ـ المبالغة في الطلب للتنبيه على سرعة الامتثال:

يعتمد هذا الأسلوب على الوظيفة الّتي يؤديها، لأنه يحاول إيصال فكرة معينة بصيغة الخبر، والمراد منه الأمر، وتنفيذ مضمُونه كقوله تعالى: **لا** **يَمَسّه إلا المطهرون** [الواقعة79]. فلا النافية أفادت المبالغة في النهي، كأنهم نُهوا فامتثلوا؛ ثم أخبر عنهم بالامتثال عند ما جاء بأداة الحصر والخبر بعده؛ فالمطهرون وحدهم يمسون القرآن ويقرؤون فيه.

##### 6 ـ التوجيه والإرشاد:

يحمل هذا الأسلوب روابط نفسية كبرى، لما يدور فيها من تفاعلات وأفكار تلد وتموت أو تتغير... ولهذا يسعى المتكلم إلى إعادة تكوين الأفكار وخلقها بشكل جديد... ويصبح إنزال الخبر منزلة الإنشاء في هذا المقام من أصح الأساليب تعبيراً عنها وأكثرها جمالاً... وهو أسلوب مطرد في القرآن الكريم لغرض الإرشاد والتوجيه كقولـه تعالى: **أَوْلَى لك فأولى\* ثم أَولى لك فأَولى** [القيامة 34]. فهاتان الآيتان نزلتا بأبي جَهْل بعد أن صدَّ عن ذكر الله وذهب إلى أهله يتمطَّى.. فجاء الإرشاد بعد ذلك لكل إنسان لكيلا يفعل فعله، حين دعا عليه بالويل والثبور أَوْلى لك... فسيأتيه بعد كفره ما يكرهه(30)[[15]](#footnote-16).

فهذا الأسلوب يثير في المتلقي أَنْماطاً من عناصر الدهشة لما ينطوي عليه من أبعاد فكرية ونفسية؛ وهو يستعير أسلوباً لأسلوب آخر...

##### 7 ـ إظهار الرغبة في الشيء والحرص على وقوعه:

إذا عظمت رغبة المتكلم في شيء وكثر تصوّره لـه حتى يخيل إليه أنه حاصل لا محالة استعمل لـه صورة اللفظ بصيغة الماضي؛ كأن نقول للغائب عنا: (رزقني الله لقاءك...) فكأن اللقاء واقع لديه؛ ولهذا استعمل الفعل الماضي الذي يفيد ثبوت الحدث ووقوعه؛ وعليه قول النابغة الذبياني في الاعتذار إلى النعمان بن المنذر:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **إذاً، فعاقبَني ربِّي مُعَاقبةً** |  | **قَرَّتْ بها عينُ مَنْ يأتيكَ بالحَسَدِ** |

إن الصراع النفسي الذي وقع تحته النابغة من غضب النعمان عليه جعله يتخيل أن العقاب قد نُفِّذ فيه، وفرح الوشاة والعواذل بهذا العقاب....

فالبنية الجمالية لهذا الأسلوب تخلق العناصر المكونة لها فنياً في نطاق الوظائف التي تؤديها... إنها بنية تنصهر في الذات الفاعلة ليتحد الهدف بالمقام وهما يتجاوبان مع التوترات النفسية المتعددة....[[16]](#footnote-17)

**المحاضـــــــــــــــــــرة الثّــــــــــــــــــالـــــــــــــــثة:**

**أغراض الخبر البلاغية :**

عرفنا مما سبق أن الأصل في الخبر أن يلقى لغرضين هما : فائدة الخبر ، ولازم الفائدة ، كما عرفنا أن المتكلم في كل منهما يهدف من وراء الخبر إلى إعلام المخاطب شيئا لا يعرفه ، سواء أكان هذا الشيء هو مضمون الخبر أو علم المتكلم بمضمونه[[17]](#footnote-18).

**1\_ إظهار الضعف** : وذلك نحو قوله تعالى : **(رَبّ إِنّي وَهَنَ العَظْمُ مِنّي)**[ مريم 04][[18]](#footnote-19) .

2\_**الاسترحام والاستعطاف** : نحو قول إبراهيم بن المهدي مخاطبا المأمون[[19]](#footnote-20) :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أتيت جــــــــــــــــــــــــرما شنيعا |  | وأنت للعفـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــو أهل  |
| فإن عفــــــــــــــــــــــــــــوت فمنّ  |  | وإن قتلــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــت فعدل  |

3**\_ إظهار التحسروالحزن**: نحو قوله تعالى :**(رَبّ إِنّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى)**[ آل عمران 36][[20]](#footnote-21).

**4ـ المدح** : نحو قول زهير بن أبي سلمى :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| وأبيض فيّاض يداه غــــــــــــــمامة |  | على معتفيه  ما تغبّ فواضله  |
| تراه إذا ما جئته متهـــــــــــــــــــــــــــلّلا |  | كأنك تعطيه الذي أنت سائله  |

**5 \_الفخر** : نحو قول الفرزدق :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا |  | وإن نحن أومأنا إلى الناس وقّفوا |

**6ـ\_الحث على السعي والجد** : كقول شوقي :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| وما نيل المطالب بالتـــــــــــــــــــمني  |  | ولكن تؤخذ الدنيا غـــــــلابا |
| وما استعصى على قوم منال  |  | إذا الإقدام كان لهم ركــــــابا[[21]](#footnote-22)  |

**7\_ إظهار الفرح بمقبل ، والشماتة بمدبر** نحو: قوله تعالى **( جَاءَ الحَقُّ وزَهَقَ البَاطِلُ)**[ الإسراء 81].

8\_ تحريك الهمة إلى ما يلزم تحصيل: نحو: ليس سواء عالم وجهول.

9\_ التذكير بما بين المراتب من التفاوت نحو: لا يستوي الكسلان والنشيط[[22]](#footnote-23).

فإذا نظرنا إلى كل مثال من الأمثلة السابقة وجدنا أن المتكلم لا يقصد منه فائدة الخبر ولا لازم الفائدة ، وإنما خرج به عن هذين الغرضين إلى غرض آخر بلاغي يفهم من سياق الكلام وقرائن الأحوال ، كغرض المدح أو الفخر ، أو الاسترحام ، أو إظهار التحسر ، أو إظهار الضعف ، أو الحث على السعي والجد.

\_المحاضرة الرّابعة \_

**علم المعاني وأثره في بلاغة الكلام**

الباحثون في البلاغة العربية منذ صدر الإسلام لم يكونوا مدفوعين إلى ذلك بباعث الشغف العلمي والبحث النظري المجرد في البلاغة ، وإنما رغبتهم ملحة في تحقيق هدفين : هدف خاص وآخر عام.

أما **الهدف الخاص فكان هدفا دينيا** يرمي إلى معرفة إعجاز كتاب الله ، ومعرفة معجزة رسوله الذي أوتي جوامع الكلم وكان أفصح من نطق بالضاد،وذلك الهدف يدل على مدى الأثر الذي خلفته الدراسات الأولى في البلاغة ، وهو البحث في أسرار الإعجاز وأسبابه ، واعتبارها مكملة للإيمان بالنبي ورسالته[[23]](#footnote-24).

وقد أشار إلى ذلك عبد القاهر في كتابه دلائل الإعجاز بقوله : «إن الجهة التي منها قامت الحجة بالقرآن وظهرت ، وبانت وبهرت ، هي أنه كان على حد من الفصاحة تقصر عنه قوى البشر ، ومنتهيا إلى غاية لا يطمح إليها بالفكر ، وكان محالا أن يعرف كونه كذلك إلا من عرف الشعر الذي هو ديوان العرب وعنوان الأدب ، والذي لا يشك أنه كان ميدان القوم إذا تجاروا في الفصاحة والبيان ... ثم بحث عن العلل التي بها كان التباين في الفضل ، وزاد بعض الشعر على بعض» [[24]](#footnote-25).

أما **الهدف العام فلا يتعلق به غرض ديني ، وإنما هو محاولة الاطلاع على أسرار البلاغة والفصاحة في غير القرآن** ، من كلام العرب شعره ونثره ، وذلك لأن من لا علم له بأوجه البلاغة يعجز عن التمييز بين الفصيح والأفصح ، والبليغ و الأبلغ.

وأشار أبو هلال العسكري مضمونه أن التهاون في طلب البلاغة من جانب صاحب العربية أيا كان قصورا في الفهم وتأخر في المعرفة والعلم قائلا في ذلك: «إن صاحب العربية إذا أخل بطلبه وفرط في التماسه ، ففاتته فضيلته ........، وعمى سائر فضائله ، لأنه إذا لم يفرق بين كلام جيد وكلام رديء ، ولفظ حسن وآخر قبيح ، وشعر نادر وآخر بارد ، بان جهله وظهر نقصه. وهو أيضا إذا أراد أن يصنع قصيدة أو ينشىء رسالة ـ وقد فاته هذا العلم ـ مزج الصفو بالكدر ... واستعمل الوحشيّ العكر ، فجعل نفسه مهزأة للجاهل وعبرة للعاقل ... وإذا أراد أيضا تصنيف كلام منثور أو تأليف شعر منظوم ، وتخطى هذا العلم ، ساء اختياره له ، وقبحت آثاره فيه ، فأخذ المرذول وترك الجيد المقبول ، فدل على قصور فهمه ، وتأخر معرفته وعلمه» [[25]](#footnote-26).

على هدى من هذه التوطئة التي توضح الهدفين اللذين كانا ـ ولم يزالا ـ منشودين من وراء الدراسات البلاغية نتقدم إلى بيان أثر علم المعاني في بلاغة الكلام.

ولكن السؤال المطروح ما هو الأثر الذي يحدثه علم المعاني في البلاغة؟

بلاغة القول يتولد في الواقع من أمرين اثنين : بيان وجوب مطابقة الكلام لحال السامعين والمواطن التي يقال فيها ، والمعاني المستفادة من الكلام ضمنا بمعونة القرائن.

إن مباحث علم المعاني من شأنها أن تبين لنا وجوب مطابقة الكلام لحال السامعين والمواطن التي يقال فيها ، كما ترينا أن القول لا يكون بليغا كيفما كانت صورته حتى يلاءم المقام الّذي قيل فيه ، ويناسب حال السامع الّذي ألقي عليه.

فللمخاطب الّذي يلقى إليه خبر من الأخبار مثلا ثلاث حالات : ففي الحالة الأولى قد يكون خالي الذهن من الحكم الذي هو مضمون الخبر ، وعندئذ تقتضي مطابقة الكلام لحاله أن يلقى إليه الخبر مجردا عن أي تأكيد.

وفي الحالة الثانية قد يكون المخاطب على علم ما بالخبر ، ولكن علمه به يمتزج بالشك وله تطلع إلى معرفة الحقيقة ، وفي هذه الحالة وطبقا

لمقتضيات البلاغة يحسن توكيد الخبر له إزالة للشك وتمكينا للخبر من نفسه.

وفي الحالة الثالثة قد يكون المخاطب على علم بالخبر ولكنه منكر جاحد له ، وعندئذ يجب أن يلقى الخبر مؤكدا بمؤكد أو أكثر تبعا لدرجة إنكاره قوة وضعفا.

على هذا الأساس إذا ألقي الخبر إلى خالي الذهن منه بالصورة التي يجب أن يلقى بها إلى المنكر له ، كان في ذلك خروج على مقتضيات البلاغة من جهة وجوب مطابقة الكلام لحال السامع الذي هو أصل من أصول علم المعاني[[26]](#footnote-27).

كذلك من أصول علم المعاني أن يخاطب كل إنسان على قدر استعداده في الفهم وحظه من اللّغة والأدب ، فلا يجوز أن يخاطب العامي بما ينبغي أن يخاطب به الأديب. فعكس الأمر هنا بلا داع فيه إخلال بما تتطلبه بلاغة المعنى ، لانعدام التوافق بين الكلام ومقامه.

ولعل فيما رواه صاحب الأغاني من حديث أحمد بن خلاد عن أبيه ما يوضح بالمثال هذا الأصل القائل بأن البلاغة هي في مخاطبة كل إنسان على قدر استعداده في الفهم وحظه من اللغة والأدب.

وتتمثل مطابقة الكلام لمقتضى الحال أيضا فيما يتصرف فيه القائل من إيجاز وإطناب ، حيث لكل من الإيجاز والإطناب مقاماته الّتي تقتضيها حال السامع ومواطن القول.فالذكي الّذي تكفيه اللمحة أو الإشارة يحسن له الإيجاز ، والغبي أو المكابر يجمل عند خطابه الإطناب في القول.

فالبلاغة تقتضي استخدام أسلوب الإيجاز مع الذكي اعتمادا على سرعة فهمه وقدرته على استيعاب ما تحمله الألفاظ القليلة من المعاني الكثيرة ، وكذلك الشأن بالنسبة لأسلوب الإطناب ، فبلاغته تستلزم الإسهاب بالشرح والإيضاح ، إما طلبا لتمكين المخاطب من الفهم إن كان غبيا ، وإما لتنزيله منزلة قصار العقول إن كان قد تجاوز الحد في المكابرة والعناد.

\_أما الأمر الثاني الذي يبحث فيه علم المعاني فهو دراسة ما يستفاد من الكلام ضمنا بمعونة القرائن.

فالكلام يفيد بأصل وضعه معنى نطلق عليه المعنى الحقيقي أو الأصلي ، ولكنه قد يخرج أحيانا عن المعنى الّذي وضع له أصلا ليؤدي إلينا معنى جديدا يفهم من السياق وترشد إليه الحال التي قيل فيها.

فالغرض مثلا من إلقاء الخبر إلى المخاطب في أصل الوضع هو ، إمّا إفادته الحكم الذي تضمنه الخبر ، وإمّا إفادته أن المتكلم عالم بالحكم. كقولك : «كان عمر بن عبد العزيز لا يأخذ من بيت المال شيئا» ، وكقولك : «لقد كنت في مطار بيروت أمس».

ففي المثال الأول تريد إفادة السامع بما لم يكن يعرفه عن عمر بن عبد العزيز من الفقه والزهد في مال المسلمين. وفي المثال الثاني لا تريد إفادة السامع مضمون الكلام لأن ذلك معلوم له قبل أن تعلمه أنت ، فالسامع في هذه الحال لم يستفد علما بالخبر نفسه ، وإنما استفاد أنك عالم به.

ذلك هو الغرض من إلقاء الخبر في أصل الوضع ، إما إفادة المخاطب بالحكم ، وإما إفادته أن المتكلم عالم به. ولكن الخبر قد يخرج عن هذين المعنيين ليؤدي إلينا معنى جديدا يفهم من السياق[[27]](#footnote-28).

ولعل فيما أوردناه كفاية لبيان ما لعلم المعاني من أثر في بلاغة الكلام ، وإقناعا لكل راغب بقيمة دراسة أساليب علم المعاني المختلفة والإفادة منها في الارتفاع بأسلوب إنشائه من ناحية ، وفي الحكم على جيد الكلام من رديئه .

1. ـ محمّد التونجي، الجامع في علوم البلاغة، المعاني ، البيان ، البديع، ص38. [↑](#footnote-ref-2)
2. ـ عبد العزيز عتيق ، في البلاغة العربية ،ص43. [↑](#footnote-ref-3)
3. ـمحمّد التونجي ، المرجع السابق ،ص 39. [↑](#footnote-ref-4)
4. ـالمرجع نفسه،ص39. [↑](#footnote-ref-5)
5. ـ المرجع نفسه ،ص40. [↑](#footnote-ref-6)
6. ـ عبد العزيز عتيق ، المرجع السابق،ص56. [↑](#footnote-ref-7)
7. ـ محمّد التونجي ، المرجع السابق ،ص41. [↑](#footnote-ref-8)
8. ـ عبد العزيز عتيق، المرجع السابق،ص58. [↑](#footnote-ref-9)
9. ـ محمد بن صالح العثيميين، تحقيق أشرف بن يوسف شبكة ألوكة الأدبية واللّغوية، نشر 08/12/2015. [↑](#footnote-ref-10)
10. ـ المرجع نفسه. [↑](#footnote-ref-11)
11. ـ عبد العزيز عتيق ، المرجع السابق،ص56. [↑](#footnote-ref-12)
12. ـ عبد العزيز عتيق، المرجع السابق،ص 60. [↑](#footnote-ref-13)
13. ـ حسين جمعة، دراسة بلاغية جمالية نقدية،موقع اتحاد العرب على شبكة الإنترنت، دمشق ، 2005،ص38 . [↑](#footnote-ref-14)
14. ـالمرجع نفسه ،ص39. [↑](#footnote-ref-15)
15. ـ حسين جمعة ، المرجع السابق،ص41. [↑](#footnote-ref-16)
16. ـ المرجع نفسه،ص42 [↑](#footnote-ref-17)
17. ـ عبد العزيز عتيق،علم المعاني،ص 63. [↑](#footnote-ref-18)
18. ـأحمد محمّد عبد الله بن سلمان،المزاوجة بين الخبر والإنشاء في النظم القرآني، معهد البحوث ودراسات العالم الإسلامي، جامعة أم درمان الإسلامية،2006،ص16. [↑](#footnote-ref-19)
19. ـ عبد العزيز عتيق ، المرجع السابق،64. [↑](#footnote-ref-20)
20. ـ أحمد محمّد عبد الله بن سلمان، المرجع السابق،ص16. [↑](#footnote-ref-21)
21. ـ عبد العزيز عتيق ، المرجع السابق ،ص65. [↑](#footnote-ref-22)
22. ـ أحمد محمّد عبد الله سلمان ، المرجع السابق،ص16. [↑](#footnote-ref-23)
23. ـ عبد العزيز عتيق، علم المعاني،ص36 [↑](#footnote-ref-24)
24. ـعبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز، الأنيس السلسلة الأدبية ،موفم للنشر ،1991،ص ـص 6 إلى 08. [↑](#footnote-ref-25)
25. ـأبو الهلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحي العسكري، المكتبة العنصرية، بيروت، 2010،ص 302. [↑](#footnote-ref-26)
26. ـ عبد العزيز عتيق ، المرجع السابق،ص37. [↑](#footnote-ref-27)
27. ـ عبد العزيز عتيق المرجع السابق،ص 41 [↑](#footnote-ref-28)